مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:770–798 تاريخ النشر:21–10–2021

شعرية السخرية وتجلياتها في الأمثال الشعبية الجزائرية

Peotic irony and its manifestations in the Algerian popular proverbs

د. عز الدين جلاوجي
جامعة محمد البشير الإبراهيمي - برج بوعريريج

تاريخ الإرسال: 10-01-2021 تاريخ القبول: 07-09-2021

الملخـــص:

للمثل الشعبي حضور قوي في حياة الناس، كونه ينطلق من كل الطبقات ويعود إليها، وذلك لما يمتاز به من اختصار ودقة وسلاسة تمكنه من إيصال الرسالة بسرعة، وتأتي السخرية في طليعة أهم خصائص الأمثال الشعبية، وهو ما يبحث فيه هذا المقال، عارضا للجانب المفاهيمي، ثم للأهم الحقول التي تجلت فيها السخرية في الأمثال الشعبية الجزائرية، ثم لجوانب جمالية وفكرية في هذه الأمثال، كالصورة والإيقاع، والوظائف، والمصادر، والأساليب.

الكلمات المفتاحية: السخرية، الأمثال الشعبية الجزائرية، المرأة، الطبقية، الذكورية، الإيقاع.

Abstract:

Popular proverb has a strong presence in peoples's lives because it starts from all social classes and returns to it, and that because of its privilege of shortness, presicion and smoothness that make it deliver the message very rapidly.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:770–798 تاريخ النشر:21–10–2021

Irony comes firstly in the most important characteristics of the popular proverbs. That what this article is looking for by presenting the conceptual aspect, then for the most important fields in which irony was manifested in the Algerian popular proverbs, and then to the aesthetic and intellectual aspects in these proverbs such as image, rhythm, functions, sources and styles

Keywords: Irony, Algerian popular proverbs, women, class, masculinity, rhythm.

المقدمـــة:

تختلف سبل المثل في الوصول إلى تحقيق غايته، إذ نراه يمتطي صهوة الجد والمباشرة والتقريرية أحيانا، غير أنه غالبا ما يخالف ذلك ويزْور عنه، فيلجأ إلى الإيحاء والمراوغة، لأسباب وأهداف مختلفة، وتعتبر السخرية أرقى وسائل التعبير الصادمة للذات والواقع، وقد عبر عن ذلك المثل ذاته عند أسلافنا الأولين حينما قالوا: "شر البلية ما يضحك"، والضحك وجه من وجوه السخرية من الذات أو من الآخر، وحين قال أسلافنا الأقربون في أمثالهم الشعبية "الضَّحك يَسْلط عْلى المْوَاخِيذ"، أي للضحك سلطان على الذين تأخذهم صروف الدهر وتقلباته، فيتجاوزن حد الألم والحزن إلى الضحك والسخرية من واقعهم، وعدم الاكتراث ببشاعته، ولعله يكون طريقا إلى الجنون هروبا من واقع بئيس.

هذه الجزئية في المثل الشعبي هي ما يسعى المقال إلى تتبعه، فما السخرية؟ وما مكوناتها وحدودها؟ وما أهم وجوه تجليها في المثل الشعبي؟

غير أن ذلك يستلزم الوقوف ولو بإيجاز عند المثل الشعبي في بسط مفاهيمي، فما المثل لغة واصطلاحا؟

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:770–798 تاريخ النشر:21–10–2021

1/المثل الشعبي بسط مفاهيمي:

يندرج المثل الشعبي ضمن فروع الأدب الشعبي الذي يذهب حسين نصار في تعريفه إلى أنه "الأدب المجهول المؤلف، العامي اللغة، المتوارث جيلا بعد جيل بالراوية الشفوية"[1]، مما يعني أن من أهم أركانه أن يكون قائله مجهولا، وأن يكون بلغة العامة حتى يسهل تداوله وتوارثه جيلا بعد جيل وعلى نطاق واسع، ولعل هذا ما يَسِم كل ما وصلنا من الأدب الشعبي قديما كالسير الشعبية مثل "سيرة بني هلال"، وكالحكايات والقصص كـــ"ألف ليلة وليلة" في الثقافة العربية، و"بقرة اليتامى" في الثقافة الجزائرية"، وآلاف الأحاجي والأمثال التي ظلت سائرة إلى يومنا هذا تتحدى النسيان وتخترق المكان والزمان، كأنما هي عبارات ذات أجنحة على حد تعبير العالم الألماني زايلر[2]، وفي هذه الزاوية الأخيرة، زاوية المثل ستنحصر دراستنا، فما المثل لغة واصطلاحا؟

أ- **المثل لغـــة:** المَثَل لغة مأخوذ من الفعل مَثُل: بمعنى شَابَه، مَثُل فلان فلانا أي صار مِثْلَه يسد مسده، ويقال مَثَل فلان فلانا وبه شَبَّهَه به وسَوَّاه، ومن الفعل مَاثَل الشيء شَابَهه، ويقال مَاثَل فلانا بفلان شبّهه به وقدّره، على قدره وتَمَاثَل الشيئان تشابها وتَمثَّل الشيء تصور مِثَاله وتَمثَّل بالشيء ضربه مَثَلا[3]، وذهب

[1]- حسين نصار، الشعر الشعبي العربي، منشورات اقرأ، بيروت، لبنان، ط2، س 1989، ص50.

[2]- إبراهيم أحمد شعلان، الشعب المصري في أمثاله العامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1972، ص 302.

[3]- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004، القاهرة، مصر، ص853.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:770–798 تاريخ النشر:21–10–2021

صاحب معجم مقاييس اللغة إلى أن "الميم والثاء واللام أصل صحيح يدل على مناظرة الشيء للشيء، وهذا مِثْل هذا أي نظيره، والمِثْل والمِثال في معنى واحد، وربما قالوا مَثِيل كشبيه، (...)، والمَثَل: المِثل أيضا، كشَبه وشبْه، والمثل المضروب مأخوذ من هذا، لأنه يذكر مورَّى به عن مِثله في المعنى"[1]، ومما سلف من باب "مثل" في كل اشتقاقه، إنما تشترك في معنى المشابهة والمماثلة، وما سمي المثل كذلك إلا لمشابهة مضربه لمورده.

ب– المثل اصطلاحا: وأما اصطلاحا فقد اختلف الدارسون في تعريف المثل الشعبي كما اختلفوا في تعريف الأدب الشعبي، انطلاقا من اختلافهم في الزاوية التي نظروا منها إليه، حيث ركز بعضهم على شكل المثل، ومنهم العلامة يوري سوكولوف الذي قال: "إن المثل جملة قصيرة، صورها شائعة، تجري سهلة في لغة كل قوم، أسلوبها مجازي، وتسود مقاطعها الموسيقى اللفظية"[2].

وقسم نظر إلى المثل على اعتبار مزاياه وصفاته ومصدره، من ذلك قول أحمد أمين: "الأمثال نوع من أنواع الأدب يمتاز بإيجاز اللفظ، وحسن المعنى، ولطف التشبيه، وجودة الكتابة، ولا تكاد تخلو منه أمة من الأمم، وميزة الأمثال أنها تنبع من كل طبقات الشعب"[3].

---

[1]– أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 5، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص 296.

[2]– أحمد أبو زيد وآخرون، دراسات في الفكلور، دار الثقافة للطباعة والنشر،– القاهرة، مصر، 1972، ص310.

[3]– أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ج1، لجنة التأليف والنشر والترجمة، القاهرة، مصر، 1953، ص61.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:770–798 تاريخ النشر:21–10–2021

واهتم آخرون في تعريف المثل بالهدف منه، فقالوا: "الأمثال أقوال سائرة مسلمة، صيغت للعظة والاعتبار مع الإيجاز والدقة والتركيز"[1]، وقال العالم الألماني زايلر "المثل عبارات متداولة بين الناس، تتصف بالتكامل، ويغلب عليها الطابع التعليمي، وتبدو في شكل فني أكثر اتفاقا من أسلوب الحديث العادي"[2].

ونظر آخرون إلى المثل على أساس أنه مرآة للأمة، يقول عبد الرحمن التكريتي: "أمثال كل أمة خلاصة تجاربها، ومستودع خبراتها، ومثار حكمتها، ومرجع عادتها، وسجل وقائعها، وترجمة أحوالها، ومصدر تراثها، ومتنفس أحزانها، فهي مرآة الأمة، تعكس واقعها الفكري والاجتماعي بصفاء ووضوح"[3].

وجمع آخرون بين عنصرين أو ثلاثة، من ذلك قول السكندر كراب: "يعبر المثل في شكله الأساسي عن حقيقة مألوفة، صيغت في أسلوب مختصر سهل، حتى يتداوله جمهور واسع من الناس، فهو يعبر عن حقيقة عامة، أو صدق عام"[4]، ويقول غوستان لوبون: "إن العقل يتناول الحقائق المقررة على شكل أفكار موجزة"[5].

وحاول الدكتور أحمد مرسي الجمع بين كثير من التعاريف ليخلص إلى: "أن المثل هو عبارة قصيرة تلخص حدثا ماضيا، أو تجربة منتهية، وموقف الإنسان من هذا

---

[1]– نبيلة ابراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، مكتبة غريب القاهرة، ط3، مصر، 1989، ص150.

[2]– أحمد أبو زيد وآخرون، دراسات في الفكلور، ص310.

[3]– عبد الرحمن التكريتي، الأمثال البغدادية المقارنة، مطبعة العاني، بغداد، 1969، ص9.

[4]– فوزي عبد الرسول، الحماسة في المثل البغدادي، مجلة التراث الشعبي، س11، ع 9، 1980، ص13.

[5]– المرجع نفسه، ص15.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:770–798 تاريخ النشر:21–10–2021

الحدث، أو هذه التجربة في أسلوب غير شخصي، وأنه تعبير شخصي يأخذ شكل الحكمة، تبنى على تجربة أو خبرة مشتركة"[1].

وبالتركيز على مكونات المثل الأساسية، وركائزه الكبرى، والتي هي المصدر والهدف والشكل، يمكن أن تعتبر المثل عبارة موجزة، لطيفة اللفظ والمعنى، يصدر عن عامة الشعب، ليكون مرآة صادقة له، يعبر عن مخزونه الحضاري، وواقعه المعيش، وآماله وتطلعاته المستقبلية، مرتبط غالبا بحكاية وقعت، سواء عرفنا حكاية المثل وقائله، أم جهلناهما.

2/السخرية بسط مفاهيمي:

تعتبر السخرية أحد أهم أوجه المثل الشعبي التي يتخذها سبيلا قصد إحداث تأثير أعمق في المتلقي من أجل الوصول إلى غايته وتحقيق أهدافه، فما السخرية؟

أ–السخرية لغة: تُجمع معاجم العربية قديمها وحديثها على أن السخرية تعني إذلال الآخر وقهره والنظر إليه من علٍ، إنها إحساس بالتفوق في الذات ودونية في ذات الآخر، وقد ذهب ابن فارس في شرحه لمعنى سخر: "السين والخاء والراء أصل مطرد مستقيم يدل على احتقار واستذلال، من ذلك قولنا سخّر الله عز وجل الشيء، وذلك إذ ذلّله لأمره، وإرادته، ويقال رجل سخرة: يسخر في العمل، وسخرةٌ أيضا إذا كان يسخر منه، ويقال سفن سواخر مواخر، فالسواخر: المطيعة الطيبة الريح"[2].

وقال الزمخشري: "سخر فلان سُخْرة وسُخَرة: يضحك منه الناس ويضحك منهم، وسخرت منه واستسخرت، واتخذوه سُخريا، وهو مسخرة من المساخر،

[1]– أحمد أبو زيد وآخرون، دراسات في الفكلور، ص 311

[2]– ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 3، ص 144

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:770–798 تاريخ النشر:21–10–2021

وتقول رب مساخر يعدها الناس مفاخر، وسخره الله لك، وهؤلاء سخرة السلطان يتسخرهم، يستعملهم بغير أجر، ومن المجاز: مواخر سواخر،: سفن طابت لها الريح.[1]

وفي لسان العرب: "سَخِرَ مِنْهُ وَبِهِ سَخْرًا وَسَخَرًا وَمَسْخَرًا وَسُخْرًا بِالضَّمِّ، وَسُخْرَةً وَسِخْرِيًّا وَسُخْرِيًّا وَسُخْرِيَّةٌ: هَزِئَ بِهِ"[2].

ومن المعاجم الحديثة ورد في المعجم الوسيط: "سخر منه وبه، سَخَرا وسَخْرا وسُخْرا وسخريَّة وسخريَة: هزئ به، واستسخر منه سخر، والسخرة، من يسخر من الناس، والمسخرة ما يجلب السخرية ج مساخر، والسخريَّة والسخرية: الهزء.[3]

وقد وردت اللفظة ذاتها في كثير من آيات القرآن الكريم بذات المعنى مثل قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُون"[4]، وفيها استهجان لفعل السخرية، ونهي صريح عنه، كما ترد في القرآن الكريم في موضع آخر مقرونة بالتهديد بالعذاب، رابطا بين لفظتي السخرية والهزء: "وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ

[1]– الزمخشري، أساس البلاغة، دار المعرفة للطباعة والنشر، ت: عبد الرحيم محمود، 1979، بيروت، لبنان، ص 205.

[2]– ابن منظور، لسان العرب، ج 6، ط 1، المطبعة الميرية، القاهرة، مصر، سنة 1300هـ، ص 16.

[3]– إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج 1، دار الفكر، لبنان، ط 2، ص 431

[4]– سورة الحجرات، الآية 11.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:770–798 تاريخ النشر:21–10–2021

بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ"[1].

ولا يكتفي القرآن الكريم بإيراد اللفظة فقط، بل يورد آيات تعبر من سياقها على السخرية والهزء، كقوله تعالى "بشّر المنافقين بأن لهم عذابًا أليمًا"[2]، إذ لا يبشر بالعذاب الأليم، وقوله تعالى: "ذُق إنك أنت العزيز الكريم"، إذ لا عزة لكافر يذوق عذاب جهنم.

ونجد أنفسنا بإزاء ألفاظ أخرى تأخذ ذات المنحى فى المعنى، ومنها: التهكم والهزل والفكاهة والتندر والطرفة والهجاء في معرض المدح، والأمر ذاته نلفيه في اللغات الغربية، ولعل سبب هذا الاضطراب عائد إلى أن الموضوع لم يحظ بالعناية الكبيرة من الدارسين منذ القدم، لدرجة أن أرسطو مثلا فرق بين التراجيديا والكوميديا بأن "التراجيديا محاكاة لأفعال جليلة تقوم بها شخصيات عظيمة، والكوميديا محاكاة لأفعال الأدنياء تقوم بها شخصيات من منزلة وضيعة"[3].

ب–السخرية اصطلاحا:

وفي الاصطلاح عرفه ابن تيمية بقوله: "حمل الأقوال والأفعال على الهزل واللعب، لا على الجد والحقيقة، فالذي يسخر بالناس هو الذي يذم صفاتهم وأفعالهم ذماً يخرجها عن درجة الاعتبار"[4]، وعرف قاموس أكسفورد السخرية بقوله: "شكل من أشكال القول يكون المعنى المقصود منه عكس المعنى الذي تعبر عنه الكلمات

[1] – سورة، الأنعام الآية 10.

[2] – سورة آل عمران، الآية 21.

[3] – ماري إلياس وحنان قصاب حسن، المعجم المسرحي، مكتبة لبنان ناشرون، 2006، ص 376

[4] – ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، ج 6، الناشر :دار الكتب العلمية، 1987، ص 22

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:770–798 تاريخ النشر:21–10–2021

المستخدمة"[1]. **وقد عمل الدارسون على ضبط مجموعة من الخصائص للسخرية نجملها فيما يلي:**

- تتأسس السخرية على التعارض والتقابل.
- السخرية وسيلة يعبر بها منشئها عن رؤيته للعالم.
- السخرية أداة لكشف المفارقات داخل الواقع، وبالتالي فهي إدانة وازدراء للفروق داخله.
- السخرية أداة لفضح المفارقات الواقع وتناقضاته.
- السخرية أداة للضحاك.
- السخرية أداة للنفي بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر، كما هي أداة للاستفهام، عندما يتخذ طابعا استنكاريا، للتعبير عن عدم توافق الواقع مع تطلعات الذات.
- السخرية أداة للمقاومة النفسية، لأنها تهاجم، ولا تهادن التناقضات والمفارقات.
- السخرية عين للنقد، إذ تتطلب من الإنسان قدرة كبيرة على النقد والتفكير.[2]

وانطلاقا من هذه الخصائص يمكن ضبط تعريف أدق للسخرية.

---

[1]– خضرة ناصف، السخرية في النثر الأندلسي رسالة الزوابع والتوابع لابن شهيد الأندلسي أنموذجا، رسالة دكتوراه، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2017/ 2018، نقلا عن:
The Shorter Oxford English Dictionary on Historical Principles, Prepared By William little, H. W. Fowler, J. Coulson, Revised and Edited by C.T. Onios, Oxford, At the Clareendon Press, (1956), p.1045

[2]– بوشعيب الساوري، بلاغة السخرية في رواية راس المحنه، تجربة جزائرية بعيون مغربية قراءات لتجربة عزالدين جلاوجي، ط 1، دار الألوان الأربعة للطباعة، سيدي بوزيد، تونس، 2012، ص 94.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:770–798 تاريخ النشر:21–10–2021

3/تجلي السخرية في الأمثال الشعبية الجزائرية:

إذا كانت لفظة السخرية لم ترد في الأمثال الشعبية بالجزائر لأن اللفظة ذاتها غير مستعملة في لغة العامة عندنا، فإننا نراهم يغيرونها بلفظة "الضحك" على اعتبار أن هناك علاقة وطيدة بين السخرية والضحك، وهو ما ذهب إليه الزمخشري بقوله: "سخر فلان سُخْرة وسُخَرة: يضحك منه الناس ويضحك منهم"، ويمكن أن نورد النماذج التالية من الأمثال الشعبية:

- البَطّيخه تَضْحك عْلى المُوسْ
- إبيعْ القَرد وْيَضحَك على شَارِيه
- لَجْملْ يضحكْ عْلى حَدْبَةْ خُوه وَنْسَى حَدَبْتُو

ففي المثل الأول مفارقة تتجلى في سخرية البطيخة من الخنجر، وهو كناية عن سخرية الضعيف من القوي، وفي المثل الثاني سخرية البائع من المشتري حين يحتال عليه فيبيعه ما لا فائدة منه ولا نفع، وفي الثالث سخرية ممن يضحك من عيوب الناس وهو مثلهم عيبا أو أشد.

يربط عبد الرحمن التكريتي بين الأمة وأمثالها الشعبية فيرى بأنها: "خلاصة تجاربها، ومستودع خبراتها، ومثار حكمتها، ومرجع عادتها، وسجل وقائعها، وترجمة أحوالها، ومصدر تراثها، ومتنفس أحزانها، فهي مرآة الأمة، تعكس واقعها الفكري والاجتماعي بصفاء ووضوح"[1]، ولا تخرج السخرية داخل الأمثال الشعبية عما ذكره التكريتي عن حقيقة الأمثال الشعبية، حيث أنها وجه من وجوه هذا الانعكاس، وبالتالي فهي قد تضيق وقد تتسع في الأمم مما يعبر عن نفسيتها وعن علاقتها بالحياة، وحتى عن لغتها وطرائق تعبيرها.

[1]– عبد الرحمن التكريتي، الأمثال البغدادية المقارنة، ص9.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:770–798 تاريخ النشر:21–10–2021

ولم تخل الأمثال الجزائرية من جانب السخرية، فبقدر ما تعبر عن الحياة بجدية وصرامة ومباشرة، فإنها تتخذ لنفسها أساليب، تأتي السخرية على رأسها، وفيما يأتي سنحاول انتقاء مجموعة من الأمثال الشعبية لتكون عينة على تجلي السخرية فيها حسب الحقول التالية:

أ–السخرية والمرأة:

ارتبطت السخرية بالمرأة أكثر من ارتباطها بالرجل، ولعل ذلك عائد إلى ضعفها، كون الرجل يمكن أن يواجه مباشرة، في حين تلجأ المرأة إلى التورية، والسخرية تورية، حتى أن القرآن كاد يربط السخرية بالمرأة في قوله تعالى: "ولا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن"[1]، حيث جعل السخرية أولا عامة عند عامة الناس، ثم خصص النساء بها، ولذا نرجح أن تكون كل الأمثال التي فيها غمز ولمز في المرأة إنما وضعتها المرأة أيضا.

والأمثال الجزائرية غالبا ما تهمز في المرأة تهاونها وتخاذلها في أشغال بيتها، وإهمال القيام بمستلزماته، ومن أمثلة ذلك: "رَبْعْ انْسَا والقَرْبَه يَابْسَه"، وهو مفارقة عجيبة، كيف تجف القربة وتيبس في بيت به أربع نساء، رغم ما للقربة من أهمية قصوى كونها خزان الماء في العقود السابقة، ومثله قولهم: "طْوِيلَه وعْرِيضَه وفِي لِيدِين مْرِيضَه"، وإنما عنوا بمرض يديها كسلها وتهاونها، رغم قوة بدنها، كما عيروا المرأة التي تقضي بياض نهارها في الطواف بين بيوت الجيران والأهل وتزعم أنها ستشتغل ليلا، حيث الليل للنوم، وحيث لا تتوفر إنارة لذلك، فقالوا: "فَالنْهَارْ التْطُوفْ وفَللّيلْ تَخْدَمْ الصّوفْ".

[1]– سورة الحجرات، الآية 11.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:770–798 تاريخ النشر:21–10–2021

ولعل الظروف القاسية التي كان يعيشها المجتمع الجزائري لأكثر من قرن تحت ويلات الاحتلال، وما حدث من إبادة جماعية وتفقير وتجويع جعلت الإنسان الجزائري لا يهمه من المرأة بالأساس إلا أن تكون جادة قائمة على شؤون بيتها، حتى أنهم سموه المرأة حين تكون كذلك "حرة"، وينفون هذه الصفة عنها مهما كانت مكانة وثراء جمالا فيسمونها "غير حرة" أو "الخالية" والقصد أنها تخلو من كل خير وفضيلة وفائدة، ولذا نراهم يبررون نقص الجمال في المرأة بقولهم "لقْمَرْ فِيهْ لُولَه"، أي فيه عيب، وهو السواد الذي يخالط توهجه وضياءه، ولعلهم قصدوا بـــــ "لوله"، لولاء، واللولاء في العربية الضر والشدة.

ب–السخرية والطبقية:

لا تتردد السخرية في التكشير عن أنيابها كلما وجدت سبيلا، وإذا كان عالم المرأة يحتل الصدارة في ذلك، فإن الطبقية الاجتماعية تترتب في المرتبة الثانية، وعادة ما تسخر الطبقة المترفة من الطبقة الفقيرة، وفي قولهم: "دَارْ طَبَّه لْسَرْوَالُو نِدِيرْ خَاتَمْ لْصُبْعُو؟"، سخرية من كل فقير يحلم بامتلاك ما يمتلكه الميسورون، وهو عاجز عن تحقيق أبسط الأمور الحياتية، ومن عجز عن ترقيع سرواله الممزق، كيف يحلم بوضع خاتم لإصبعه؟

وربما امتدت السخرية في الأمثال إلى الهزء من طبقات معينة في المجتمع، وتعتبر مهنة الرعي أدنى مرتبة في حياة الناس، لذا فهم يحددون للراعي حتى الأطعمة التي لا يجوز له أن يتطلع إليه، ومن ذلك التمر الجيد "الدقلة"، وجاء المثل في صيغة استفهام خرج لغرض التعجب الساخر، "الدَّقْلَه مَنْ شْوارَبْ الرَّاعِي؟".

ومثل الراعي في المرتبة أيضا الخماس، وهو ذلك الفقير الذي يفلح أرض غيره، ويكون أجره خمس ما تنتج الأرض إن أنتجت أصلا، وكلاهما الخماس والراعي

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:770–798 تاريخ النشر:21–10–2021

يجمعهما المثل التالي "الرَّاعِي والخَمَّاسْ يَتْهَاوْشُوا عْلَى شَيْ النَّاسْ" والخصومة بينهما من أجل ممتلكات غيرهما حمق ومدعاة للسخرية والهزء.

وتدعو الأمثال الشعبية الطبقة الدونية إلى المداهنة والملاينة لتحقيق أهدافها، بل حتى إلى المذلة والهوان، وهو ما عبروا عنه بقولهم: "اللي ما عَنْدُو وَالِي إقُولْ للكَلْب خَالي"، وبقولهم: "بُوسْ الكَلْب عْلى فُمّو حتّى تَقضِي حاجْتَك مَنُّو"، ولا شك أن تقبيل الكلب أو اتخاذه خالا هو مذلة وهوان ما بعدهما مذلة وهوان.

ومجمل القول فإن الأمثال الشعبية السابقة عبرت بسخريتها عن السلطة الذكورية تجاه المرأة من جهة، حتى وإن كانت بلسان المرأة ذاتها، كما عبرت عن سلطة طبقة المترفين ضد الطبقة الأدنى منها، مما يؤكد على ما ترسخ في ثقافة المجتمع من عنصرية جنسية وعنصرية طبقية أيضا، لكننا لا نجد في هذه الأمثال عنصرية دينية أو مذهبية أو عرقية.

ج– السخرية من بعض السلوكات:

ينتقي العامة سلوكات بعينها ويتخذون عبر أمثالهم سخرية، وهم بذلك يرفضونها بشكل جارح، من ذلك مثلا قولهم "خْيَارْ الشْطِيحْ فَالظّلمَه"، وقولهم "مَن شافَكْ يا مْكَحْلَه فَاللّيل؟"، وكلاهما يرتبط بالمرأة وهي تحاول أن تظهر محاسنها حيث تستحيل رؤيتها، كأن ترقص ليلا، أو تتزين ليلا، والمثلان في مضربيهما لا يقتصران على المرأة، وإن كانت هي أصل موردهما، بل يشملان كل سلوكات الإناث والذكور، فكل من يفعل ما لا يليق، في الزمان والمكان، يواجه بهاذين المثلين الساخرين، أو أحدهما على ما بينهما من خلاف.

كما يستدعي المثل أيضا المرأة التي تتظاهر بالخوف من أبسط الأمور، كالفئران أو الحشرات، في حين هي تستطيع أن تفعل ما لا يخطر على بال أحد، وفي

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:770–798 تاريخ النشر:21–10–2021

المثل "تَتْحزَّم بْلَفْعَى وتْخافْ مَن الطَّارْفَه"، وأن تقبل المرأة على الأفعي فتتحزم بها، لهو الشجاعة والتحدي، ثم هي في الآن ذاته تخاف الحبل، لهو الادعاء والزيف، والمثل يضرب لكل من يستطيع أن يفعل عظائم الأمور وشدائدها، ولكنه يتظاهر بالخوف والضعف.

كما يسخر العامة ممن يغير من نفسه وقناعاته ومظهره وحديثه، متأثرا بغيره بعد أن لقيهم لوقت وجيز، فيقولون: "باتْ مْعَ لَجْرانْ صَبَّح إقَرْقَر" و"باتْ مْع الْجاجْ صَبَّح إقاقِي"، إنها دعوة للثبات على القناعات والقيم والمتوارث من المجتمع، لكن في المثلين إشارة إيجابية، وهو رفض التأثر بالدوني والسيِّئ، ولذلك ربطوا ذلك بالضفادع والدجاج، والإشارة إلى صوتيهما، كشف أن المثلين يتجهان نحو تغيير اللغة، أو تغيير النبرة فيها.

وهكذا نراهم في كثير من الأحيان، يقدمون نقدهم اللاذع لكثير من السلوكات في شكل ساخر أشد طعنا وتأثيرا، كأن يسخروا من الجمع يشترك فيما لا يستعمل إلا للفرد الواحد فقالوا: "عشْره في دابْ"، ومن البخيل، في أن جيبه في ظهره، يمد يده إليه فيرجع خاسئا "جِيبُوا فِي ظَهروا"، أو الأعمي الذي يقود أعمى "كـــلَعْمى كِـــــقَوَادُو".

د– السخرية من الحياة:

ويمتد بهم مجال السخرية إلى الحياة كلها، وهم في ذلك ينطلقون من خلفية إسلامية، مرجعيتها القرآن والحديث، فهم يرون الدنيا مجرد قش، وأن المغتر بها المتكبر فيها مجرد بالون منتفخ سينفش مهما طال به الزمن، "الدُّنيَا قَشْ، واللّي تَنْفَخ يَتْفش"، وهو مأخوذ من قوله تعالى من سورة الكهف: "واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:770–798 تاريخ النشر:21–10–2021

الرياحۖ وكان الله علىٰ كل شيء مقتدرا"[1]، ويرون الدنيا في المثل الثاني مجرد ظل شجرة، وأن عمر الإنسان فيها ليس إلا تلك اللحظات التي يمر فيها على ذلك الظل "كَاللّي عْقَب عْلى ظَلْ سَجْرَه"، وهو مأخوذ من قول الرسول (ص) "ما لي وللدنيا؟، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها"[2].

ه– المثل الساخر والسلطة الذكورية

يعد الذكر إلى الأمثال الشعبية ليجلد بها الأنثى ويتخذها وسيلة للسيطرة والتفوق وإذلال الآخر/ الأنثى، إذ هي في نظره سبب كل البلايا وكلما كان عددهن أكبر كانت المصيبة على الرجل أكبر أيضا، ولذلك ورد في أمثالهم "اللّي عَينُو في البْلا إِكَثَّر لَكلاب والنْساء"، أي من رغب في المصائب والبلايا فليكثر من النساء، ويصوغون المثل بطريقة أخرى أيضا "اللّي عَينُو في النْداب إِكَثَّر النْسا ولَكلاب"، وفي المثلين معا يقرنون المرأة في كثرتها مع الكلاب، وفيهما إهانة لها، وتحذير منها أو بالأساس تحذير من الإكثار من النساء في الزواج. ولا يفتأ المثل الذكوري من ممارسة سطوته في الحكم على الأنثى ليس بدونيتها فقط بل بمكرها وخبثها، ولقد قالوا: "كَيَّتْهَم ما تَتَنْسى ومَرْقَتْهم ما تَتَحْسَى"، في التحذير من شرهم "كيتهم"، وحتى من خيرهم "مرقتهم"، ولذا تمارس السلطة الذكورية الإقصاء التام للأنثى حيت في أبسط حقوقها، ولذا نراهم يعيرونها حين تمارس حقها في تزويج نفسها "هَذا رايَك أَزَوَاجَتْ رُوحْها"، وهم يضربونه في المرأة تتخذ قرارا دون أن تعود إلى سلطة الرجل وتقديره، تحذيرا لها من ذلك لأنها ستنتهي إلى الفشل، وسلطة الرجل على المرأة تتـــأتي من منابع مختلفة منها المنبع الديني، حين ينسبون إلى الرسول (ص) قوله:

[1]– سورة الكهف، الآية 45

[2]– رواه الترمذي.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:770–798 تاريخ النشر:21–10–2021

"النساء ناقصات عقل ودين"[1]، ويقينا فإن ناقصة العقل لا يمكن أن تحسن التصرف. ولذا نرى الأمثال الذكورية تحرض على المرأة باستعمال العنف والشدة أحيانا: "اللّي شْقا عْلى نْسِيبْتُو يَعْطِيها طْرِيحَه"، وحصروا المرأة في أم الزوجة، للشنآن الذي يقوم عادة بينها وبين الزوج وأهله، وبمقابلة مكر المرأة بمكر أشد في قولهم "أنتِ عْليك بْتَرقاقْ الْكَسْرة وَانَا عْليّ بَلَعْدا مَرْتين".

4/جماليات السخرية ووظيفتها في المثل الشعبي:

كما المثل الشعبي عموما فإن مثل السخرية يشرق بفوانيس للجمال رغبة منه في تعميق التأثير في المتلقي، وذلك من خلال الصورة والإيقاع بالأساس، كما أنه يسعى لتحقيق جملة من الوظائف أساسها إحداث الصدمة رغبة في التأثير وبالتالي التغيير، وهو ما سنعرض له فيما يلي:

أ–السخرية صورة: المتلقي للمثل الشعبي في صورته الساخرة كثيرا ما يحس أنه يتلقى صورة كاريكاتيرية أحسن المنشئ رسمها بأصابع فنية بارعة، وبالتالي فإن هذا النوع من المثل لا يراهن على التلقي من خلال اللغة فحسب، بل من خلال

[1]– متفق عليه، وأصل الحديث (عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: ''يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ، فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ'' فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ''تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ'' قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ''أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟'' قُلْنَ: بَلَى. قَالَ: ''فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا. أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟'' قُلْنَ: بَلَى. قَالَ: ''فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا'' متفق عليه.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:770–798 تاريخ النشر:21–10–2021

المشاهدة أيضا، مما يجعل المثل أسرع في الرسوخ وأسرع في التأثير، ولك أن تتخيل صورة المثل التالي: "شْحال مَن عْمايم فُوق رُوس ألْبْهايم" فتتصور قطيعا من البهائم تتباهى فيه كل بهيمة بعمائمة تضعها على رأسها، والأصل في العمامة أن توضع على رؤوس العلماء لتميزهم عن غيرهم، أو صورة كلب يتفاخر بين العجول على أنه من جنسهم لا لشيء إلى أنه يشبههم في اللون "الكَلب لَحمر إعَد نَفسو مْع لَعجول "، أو صورة غرباء يفرحون في عرس ليسوا أهله، ويتعبون في إشاعة البهجة في فرح ليسوا أهله ولن ينالوا منه شيئا، "العَرس لَاهْلو ولَكْلاب اتْلَحْلَحلو"، ولك أن تتصورهم كلابا يحركون ذيولهم مرحا بين يدي أصحاب الفرح.

ب–السخرية إيقاع:

لا تفوت الأمثال الشعبية طاقة الإيقاع فهي تستدعيها في أغلب الأحيان لإحداث التأثير العميق في نفس المتلقي، ومن أهم ما تجلى لنا في المثل الساخر السجع، والتوازي، والتضاد.

❖السجـــع:

يصر المثل الشعبي على استحضار إيقاع السجع، بتوافق فاصلتيه في حرف واحد، ليصير كأنه مطلع قصيدة عمودية وهي تستحضر محسن التصريع، وما يزيد من روعة إيقاع السجع هو تساوي الفاصلتين، كأنما هما شطران في بيت واحد، ومثل ذلك قولهم: "رَبْع انْسَا والقَرْبَه يابْسَه"، في سخرية واضحة من تهاون النساء بأهم شؤون البيت، ومن الواضح جدا أن تكرار حرف السين المفتوحة مع مد في المثل، إضافة إلى تساوي الفاصلتين، أحدث إيقاعا قويا لدى المتلقي، والأمر ذاته نلفيه في إيقاع القاف بين كلمتي "ارْقدْ وْفاق لْقَى رُوحُو فَالزْقاق"، وفي المثل سخرية ممن يتهاون في حياته حتى يجد نفسه ضائعا في الأزقة، إن "رقد" كناية عن التهاون والغفلة

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:770–798 تاريخ النشر:21–10–2021

والكسل، و"الزقاق" كناية عن الضياع، وهكذا تستمر المراهنة على هذا النوع من الإيقاع في كثير من الأمثال منها قولهم: "الكَلب اللّى نْبح ماعَض ما جْرح" وقولهم: "اذا تفاهمت لعجوز والكنة يدخل بليس للجنة".

❖ الجنـــاس:

لا يتوانى المثل الشعبي أيضا في استغلال طاقة الجناس، لما تحدثه من إيقاع يسر النفس ويهزها، مثل قولهم ساخرين من توافق الأبناء والآباء فيما هو سيء من الصفات "ولْدْ الفارْ حفارْ" حيث نلاحظ تجانسا بين كلمتي الفار وحفار، وبالضبط بين الفاء والراء، إضافة إلى حركات الأحرف وترتيبها، وذاك ما نلمسه في قولهم: "البيت بيت رجالة والقربة هجاله"، و"راح يسعى ضيع تسعه"، و"راح يخطب بات، راح يحطب مات"، ولا يخفى على المتلقي إيقاع الجناس الحاصل بين رجاله/ هجاله، ويسعى/ تسعه، وبات/ مات، وطاقة الجناس لا تنهض وحدها بالتأثير لأنها تقترن أيضا بطاقة السجع، مما يجعل المثل أكثر متعة وقربا من النفس.

❖ التـــوازي:

وهي التناظر والمقابلة وحسن التقسيم في جملة المثل، هي أيضا طاقات لها تأثيرها الإيقاعي، بحيث يحس الملتقي أن هناك إيقاعا آتيا من حسن تقيم الجملتين المتقابلتين المعاونتين لتحقيق الرسالة الجمالية والفكرية معا، ومثال ذلك قولهم، "راح يخطب بات، راح يحطب مات" من الواضح الجلي أن هناك تناظرا وحسن تقسيم، جملتان بكل منها ثلاثة ألفاظ، تتساوى في حدود الحروف، وفي نوعاها ولو صوتيا، كل ذلك يجعل المثل سريع الوصول إلى عمق المتلقي، والحقيقة أن في هذا المثل طاقات إيقاعية أخرى، كالتكرار في كلمة راح، وفي الجناس الناقص بين كلمتي "يخطب ويحطب"، وبين كلمتي "بات ومات"، إضافة إلى السجع بين حرف الهمزة في

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:770–798 تاريخ النشر:21–10–2021

الفاصلتين، والأمر ذاته نجده في كثير من الأمثال الساخرة، كقولهم في من يفعل شرا ويتظاهر بالبراءة دون أن يستطيع إخفاء جريمته "ينغُزْ الدابهْ ويَدَّرْقْ بَالبَردعهْ"، والتوازي واضح بين جملتي المثل: ينغز/ يدرق، الدابه/ البردعة، وقولهم سخرية من الضعيف الذي لا يقدر على شيء "ياكُل القُوت ويَسْتَنى فَالمُوت"، والتوازي واضح بين: الفعلين ياكل/ يستنى، وبين الاسمين القوت/ الموت، إن التوازي يمنح المثل طاقة إيقاعية مؤثرة متولدة من التوازي الحاصل بين طرفي المثل الساخر.

❖ **التضـــاد:**

وهو طاقة إيقاعية أخرى تلفت انتباه المتلقي وتؤثر فيه، من خلال المفارقة التي تتجلى في المثل الساخر، وقد يعبر التضاد عن عدم التناسب في تناقض صارخ حاصل بين طرفي المثل، كقولهم: (كي شاب عَلْقُولو لُكْتاب)، وفي المثل سخرية من الشيخ يتصابى، كمن يعلق له الحرز وهو هرم، في حين أن الحرز يعلق للصغير، وقولهم (قَرِّيني وانا سِيدِك)، أي علمني العلم، وأنا سيدك، والصواب هو العكس لأن المعلم هو سيد المتعلم، أو قولهم: "حالتها حاله وقديدها مالح"، للمرأة التي تتفاخر وتتعالى "حالتها حاله"، في حين أنها لا تحسن القيام بشؤون البيت "قديدها مالح"، كما قد يعبر المثل أيضا دلالة المثل على الشيء ونقيضه في آن واحد، ومثل ذلك مثلهم في (مَن بَرَّه هَلْ هَلْ ومَن دَاخَل يَعلمْ الله)، سخرية ممن يهتم بمظهره ويهمل مخبره، وقد يكون التضاد باستبدالهم الأمر أو الشيء بأمر أو شيء آخر، كقولهم (دَابْنا ولا عَوْد النّاس) يعنون بها حمارنا خير من جواد الغير، وهم هنا يستبدلون الفرس بالحمار، وبمثل ما يضربه المتعصب لقومه وعشيرته، يضرب سخرية فيمن يفضل الأدنى على ما هو أرقى وأعلى لا لشيء إلا لعلاقة القرابة.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:770–798 تاريخ النشر:21–10–2021

ج– السخرية إدانـــة:

يلجأ المثل الشعبي الساخر من خلال فعل السخرية إلى إصدار إدانة غالبا ما تكون جارحة، قصد إحداث التأثير العميق والقوي، وغالبا ما تنصرف الإدانة لبعض السلوكات المشينة التي يرفضها المجتمع.

وفي المثل "كي شاف الضيفة طلق مولات البيت" إدانة لمن ينخدع بالمظهر فيسعى للتفريط في أقرب الناس إليه، وفي قولهم "كِـــــ ذِيلْ الفَروج الرِّيح اللي اجِي يَدِّيه" إدانة لمن يغير مواقفه وقناعته بسرعة إرضاء للأقوى، فهم يشبهونه بذيل الديك الذي يغير اتجاهه يمنة وشملة تحت تأثير الريح، وهم يدينون من ينكر أصله إحساسا منه بالدونية والمعرة، وينتمي إلى غيره بحثا عن جاه وقيمة، فيقولون "قالوا يا لَبغل ويناه أبُّيَك؟ قال خالي الْعَود"، كأنما يدينون هذا البغل الذي سئل عن أبيه، فخجل أن ينتسب إلى أبيه الحمار، واختار الانتساب إلى خاله الحصان.

دون أن ينسى هذا النوع من الأمثال المرأة التي يسخر عادة من إهمالها لشؤون بيتها والاهتمام بشكلها الخارجي، لدرجة أنهم يدينون الشكل والجمال كلية "الزِّين ما اعَمّر الْبَيت"، فجمال المرأة مهما كان فاتنا لا يفيد في تأسيس الأسرة والتغلب على مصاعب الحياة، وهو ما قالته الضيفة لربة البيت "بَايَن عْلى لَعرى" حين راحت ربة البيت تمدح ابنتها في حين كانت عُرى الفناجين متسخة مما يدحض مزاعمها.

د– السخرية تربية:

التربية والتوجيه من أهم وظائف المثل الشعبي، وكأن المجتمع يصوغ بها قوانين ضابطة لسلوكات الناس وتصرفاتهم، ولذا فالناس عادة ما يعتبرها ملزمة يضربونها كلما دعت الضرورة لضربها، وإلى ذلك يشير كراب بقوله: "الأمثال تردد خلاصة

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:770–798 تاريخ النشر:21–10–2021

التجربة اليومية التي صارت ملكا لمجموعة اجتماعية معينة، والتي صارت جزء لا ينفصل عن سلوكها في حياتها اليومية الجارية"[1].

وإذا كان المثل يتخذ المباشرة أحيانا في القيام بهذه الوظيفة فإنه غالبا ما يغلفها بالسخرية، إمعانا منه في إحداث التأثير، كقولهم "قَرِّيني وأنا سِيدَك" في السخرية ممن يريد قلب طرفي المعادلة "معلم، متعلم"، إذا يفترض أن يكون الأستاذ سيدا لا التلميذ، وذات المعنى يصوغونه بشكل آخر حين يحصرون التعليم في الدين، كقولهم "عَلمناكْم الصْلاةْ سَبْقتونا لَلْجامع"، لأن سلوك المتعلم فيه تجاوز لمنزلة المعلم ومكانته التي يجب أن تظل محفوظة ومتقدمة، وفي المثلين سخرية من سلوك المتعلِّم الذي يسعى أن يتجاوز سيده المعلم، بالتعالي والتجاوز، ومثله قال الشاعر العربي القديم:

أعلمه الرماية كل يوم :: فلما اشتد ساعده رماني[2]

وإلى ذات المنحى يذهب المثل الشعبي "لو انْظرْ لَبْعيرْ لَلْحَدَبْتو تَنْقْطَع رَقَبْتو" وفيه سخرية ممن ينسى عيوبه ليسخر من عيوب الآخرين، وفيه قيم توجيهية وتربوية، تدعونا دوما أن نلتفت لعيوبنا لنصححها بدل الانشغال بعيوب الآخرين، وهو ينسجم مع قول الشافعي:

فلا ينطقن منك اللسان بسوأة :: فكلك سوءات وللناس ألسن

وعَيناك إن أبدت إليك مَعايباً :: فدعها، وقل ياعين للنّاس أعين[1]

[1]– ألسكندر هجرتى كراب، علم الفكلور، ترجمة أحمد رشدي صالح، دار الكاتب العربي، القاهرة،. 1967، ص243.

[2]– معن بن أوس، معن بن أوس حياته شعره أخباره، ط 1، جمعه وفسر ألفاظه ووضع فهرس أعلامه كمال مصطفى، مطبعة النهضة، القاهرة، مصر، 1927، ص 37.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:770–798 تاريخ النشر:21–10–2021

5/مصادر وأساليب المثل الساخرة:

يتخذ المثل الساخر لنفسه مصادر معينة يغرف منها سخريته، كما يتخذ لذلك أساليب مختلفة يصاغ بها.

أ– مصادر المثل الساخر:

تتعد مصادر المثل الشعبي الساخر، وتعكس بذلك الواقع الجزائري الذي نشأت فيه، وأهم تلك المصادر:

❖**المجتمـــع:** يمكن اعتبار المجتمع أهم معين لإنشاء المثل الساخر، كسخريتهم من صفة البخل في غير المعوز في قولهم: "جَزار ويَتْعشى باللّفت"، واللفت إنما يكون طعاما للفقراء، لا طعاما لجزار يبيع اللحم ويحرم نفسه منه، وقد تنصرف السخرية في المثل إلى جنس المرأة، كما في قولهم "خَصّك غِير السْوَاك يا مْعَوْجَةْ الَحْناك" سخرية من الدميمة التي تبالغ في وضع زينة لا تغطي عيوبها الخَلقية، أو قولهم "جات العَازْبَه تَشْكي لْقاتْ المَتْزَوْجَه تَبْكي"، ويفترض أن تشكو العازبة كونها افتقدت الزوج، فإذا المتزوجة تبكي حالها، وفيه سخرية ممن يكثر الشكوى والتألم رغم ما تحقق له، وقد ينقلب أمر السخرية فيتجه إلى الرجل مع تفضيل المرأة عليه، كما في قولهم "حَمْده خِير مَن حْمَد" وقولهم "عيشة خير من عياش"، وفيهما سخرية من رجل انهزم أمام امرأة، أو بدا دونها شأنا وقيمة ومعرفة، في حين يفترض أن يكون العكس، كون المجتمع الرجالي لا يقبل أبدا بتقدم المرأة على الرجل، فإن حدث اُتخذ بينهم سخرية وهزءا

[1] – الإمام الشافعي، ديوان الإمام الشافعي، شرحه وضبط نصوصه وقدم له عمر الفاروق الطباع، دار الأرقم، بيروت، لبنان، ص 115.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:770–798 تاريخ النشر:21–10–2021

❖ **الطبيعة:** كثيرا ما يستلهم المثل الساخر وجوده من البيئة المحيطة بالإنسان منشئ المثل، بل ومن الطبيعة بالأساس، كقولهم "البَصله ما تْولي تفاح"، في سخرية واضحة من الأدنى الذي يستحيل أن يرقى، مهما كان مجال ذلك، كالأخلاق والنسب، كما يستحيل أن يصير البصل تفاحا، ويستلهمون من الطبيعة ليسخروا ممن يغير طباعه وأصله بمجرد احتكاكه بالغير ولو كانوا أدنى منه، فقالوا "بات مع الجَاج صَبَّح إيقاقي"، كما يسخرون ممن يتحدى الأقوى منه تحديا معنويا أو ماديا، كقولهم "البَطّيخة تَضحك عْلى المُوس" وفيه مفارقة عجيبة حين "تضحك"/ تسخر البطيخة وهي الأضعف، من الموسى وهو الأقوى، وذات المفارقة تظهر في قولهم "الخَنفوس في عَين مَّو غْزال" وفيه سخرية ممن يرى كل ما له جيدا وحسنا، كتصرفاته وممتلكاته وأقاربه، كالخنفوس وهو قمة القبح الذي تراه أمه غزالا وهو ما يضرب به المثل في الحسن والجمال.

❖ **الدين:** يستلهم الجزائريون بعض أمثالهم الساخرة في الدين أيضا، كقولهم "حَجْ واشْرَب مَن زَمْزم وجَاء لَلْبلاءْ مَتْحزم" في سخرية ممن حج ليستقيم فإذا به عاد ليرتكب الأسوأ في سلوكه وأخلاقه، وقولهم "صَامْ صامْ وافْطَر عْلى بْصل"، في سخرية من البخيل الذي يحرم نفسه من طعام جيد حتى بعد صيامه، أو في سخرية ممن يصبر ويكابد للحصول على شيء ثم يرضى بما هو أدنى وأردأ.

❖ **السياسة:** قلما نجد المثل الشعبي الجزائري يشير إلى أمور السياسة، لأنه تشكل في زمن أبعد فيه تماما عن الحكم والسياسة، زمن السيطرة العثمانية ثم زمن الاحتلال الفرنسي، وقد بلغ ذلك خمسة قرون، ومن الأمثال السياسية الساخرة قولهم "أنتَ مِيرْ وَانَا مِير واشْ كونْ إسوقْ لَحْمير" في سخرية من الطبقة الدونية التي يجب أن تكتفي بالوظائف الدنيا ولا تتطلع إلى الوظائف العليا كالحكم والقيادة.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:770–798 تاريخ النشر:21–10–2021

ب– أساليب الأمثال الساخرة :

يتخذ المثل الساخر في تشكله أوجها مختلفة، أهمها: الاستفهام، الأمر، التعجب، المشابهة، الحوار.

❖ **الاستفهام:** يأتي الاستفهام في طليعة الأساليب التي تتخذها الأمثال الشعبية لصياغة السخرية، ومن ذلك قولهم "لَمْزَوَّقْ بَرَّاني واش احْوَالُو دَخْلاني؟" يسألون بها عن جوهر ما يظهر للعيان مزوقا مزخرفا، وفيه سخرية ممن يهتم بالشكل والمظهر دون أن يولي جوهره اهتماما، وفي سخريتهم ممن يعجز عن الأمور البسيطة ويتطلع لتحقيق الأمور الصعبة، قالوا: "دار طَبّه نِدِير خاتم؟" ومثلوا لذلك بمن يعجز عن أن يضع خرقة يطبب بها سرواله الممزق، ويسعى أن يمتلك خاتما يتزين به، وفي سخريتهم ممن لا يقدر الأمور ولا يعرف قيمتها قالوا: "واش يَعْرفْ الدَّابْ لَلْقْرُنْفُل جا اشَمُّو اكْلاهْ؟" في السخرية من الحمار الذي لا يحسن شم القرنفل، ولكنه يحسن أكله، كما لم تسلم المرأة من هذا الأسلوب، ومن ذلك قولهم "وَاشْ مَن كَرْش تُولَدْ الذْرَاري؟" يعيرون به المرأة العاقر، أو المرأة التي لا تنجب الذكور، مما يدل على سطوة الذكورية في المجتمع الجزائري، والاستفهام في هذا النوع من الأمثال يخرج عن غرضه الحقيقي إلى غرض آخر هو السخرية.

❖ **الأمر:** يلجأ المثل الساخر أيضا إلى الأمر غير الحقيقي، كما في قولهم "ارقُص للقَرد في دولتو"، في دعوة إلى مداهنة وملاينة الفاسدين مادام الأمر في أيديهم، والسخرية هنا إنما تتجه إليهم حين تعتبرهم "قرودا"، وفي السخرية ممن يطلب منا أن ننتظر حدوث المستحيل قالوا "عيش ياراس حتى إجيك الزيت من مقرة"، ومقرة هي منطقة لا ينبت بها زيتون، وبالتالي لا يرتجى منها زيت، وانتظار حصول ذلك إنما هو في حكم المستحيل.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:770–798 تاريخ النشر:21–10–2021

❖**التعجب:** قلما يصاغ المثل الساخر تعجبا، لقلة استعمال هذا الأسلوب في استعمال العامة، رغم أنهم قد يخرجون أساليب أخرى إلى غرض التعجب، ومن التعجب الساخر قولهم: "الْمَزْوَد الرْقِيق وْمَا إِهَزْ مَن دْقيق!"، في السخرية من الضعيف بدنا لكنه نَهِم في أكله.

❖**المشابهة:** يلجأ المثل الساخر أيضا أسلوب التشبيه، سواء أكان تشبيها بليغا كقولهم "صْطَل مْقطَّع" وقولهم "فَرْدَه وَلْقات خُتها" ويقصدون بالأمر هذا دلو مثقوب مقطع، ويضرب سخرية فيمن لا فائدة منه، ويقصدون بالثاني "هذان كفردي حذاء" سخرية منهما في تشابههما فيما هو سيء، كما قد يستعملون حرف التشبيه "الكاف" ليربطوا فيه بين المشبه والمشبه به، كقولهم "كِـــــ الزيرْ الـــمَتَكِّي، ما إِضَحَكْ ما إبَكِّي" أي فلا مثل الزير المتكئ، لا هو استقام ليفرح الظمأى بما فيه من سوائل، ولا هو انكسر فكان مدعاة للحزن عليه، ويضرب المثل سخرية ممن لا يقوم بما يستطيع أن يقوم به، فلا هو أسعد الآخرين بجديته، ولا هو كان ذا إعاقة فحزنوا لأجله.

❖ **الحوار:** يلجأ المثل الساخر أيضا إلى الحوار، وهو عادة يكون بين طرفين يسأل الطرف الأول ليجيب الثاني، مراعاة لميزة الاختصار في المثل الشعبي، ومن ذلك قولهم: "قالوا يا الثَّعلب وِين شْهُودك؟ قال كْعالْتِي"، في السخرية ممن يقدم نفسه شاهدا على صدق أقواله أو أفعاله، وضربوا المثل في ذلك بالثعلب الذي يقدم ذنبه على براءته مما اتهم به، واتخذوا الثعلب لنا يعرف به من مكر ودهاء.

الخاتمـــة:

يرسو المقال في النهاية على جملة من النتائج أوجزها فيما يلي:

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:770–798 تاريخ النشر:21–10–2021

– حضرت السخرية من خلال الأمثال الشعبية بشكل لافت، كأنما تتخذها إحدى أهم الأساليب التي تراهن عليها للوصول إلى المتلقي.

– تركزت السحرية بشكل أكثر في حقول معينة، وعلى رأسها المرأة وبقدر ما وضعت هذه الأمثال الساخرة في المرأة فإنها أيضا كانت واضعتها، لتكون وسيلة من الوسائل الدفاعية التي تستعملها في مجتمع ذكوري.

– من أهم مجالات تجلي الأمثال الساخرة الطبقية وتركزت في الطبقية الاجتماعية، وانتفاء تام للطبقية الدينية أو المذهبية أو العرقية.

– في الأمثال الشعبية سخرية من بعض السلوكيات وعادة ما يكون من بعض سلوكات المرأة التي تهتم بالشكل وتهمل الجوهر، أو من بعض الأخلاق السيئة، كالتنكر للأصل.

– تجلت السخرية أيضا من الحياة أساسا، ومرجعية ذلك نصوص الدين الذي يعتبر الحياة معبرا للآخرة، والواقع البئيس الذي كان يعيشه الجزائريون.

– من خلال الأمثال الساخرة تتجلى السلطة الذكورية المطلقة وسيطرتها على المرأة.

– حشدت السخرية في الأمثال الشعبية الجزائرية طائفة من الوسائل الفنية والبلاغية لإحداث التأثير، كالصورة الكاريكاتورية، والإيقاع.

– وبقدر ما اهتمت السخرية في الأمثال الشعبية الجزائرية بالجانب الفني فإنها اهتمت بالرسالة التي سعت من خلال لنقد المجتمع وتوجيهه.

– نبع المثل الساخر من جملة من المصادر، منها: المجتمع، الطبيعة، الدين والسياسة.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:770–798 تاريخ النشر:21–10–2021

– اتخذ المثل الساخر جملة من الأساليب، منها: الاستفهام، الأمر، التعجب، المشابهة، الحوار.

المصادر والمراجع:

المصـــدر

1. عزالدين جلاوجي، الأمثال الشعبية الجزائرية، أسئلة اللغة أسئلة المعنى، دار المنتهى، الجزائر، 2020.

المراجع

2. ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، ج 6، الناشر :دار الكتب العلمية، 1987، ص 22

3. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 3، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان ص 144ص 144

4. ابن منظور، لسان العرب، ج 6، ط 1، المطبعة الأميرية، القاهرة، مصر، سنة 1300 ه، ص 16.

5. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج 1، دار الفكر، لبنان، ط 2، ص 431.

6. أحمد أبو زيد وآخرون، دراسات في الفكلور، دار الثقافة للطباعة والنشر،– القاهرة، 1972.

7. أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، القاهرة، مصر، ج1، 1953.

8. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:770–798 تاريخ النشر:21–10–2021

9. ألسكندر هجرتى كراب، علم الفكلور، ترجمة أحمد رشدي صالح، دار الكاتب العربي، القاهرة،. 1967، ص243.

10. الإمام الشافعي، ديوان الإمام الشافعي، شرحه وضبط نصوصه وقدم له عمر الفاروق الطباع، دار الأرقم، بيروت، لبنان.

11. بوشعيب الساوري، بلاغة السخرية في رواية راس المحنه، تجربة جزائرية بعيون مغربية قراءات لتجربة عزالدين جلاوجي، ط 1، دار الألوان الأربعة للطباعة، سيدي بوزيد، تونس، 2012.

12. خضرة ناصف، السخرية في النثر الأندلسي رسالة الزوابع والتوابع لابن شهيد الأندلسي أنموذجا، رسالة دكتوراه، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2017/ 2018.

13. الزمخشري، أساس البلاغة، دار المعرفة للطباعة والنشر، ت: عبد الرحيم محمود، 1979، بيروت، لبنان، ص 205.

14. عبد الرحمن التكريتي، الأمثال البغدادية المقارنة، مطبعة العاني، بغداد، 1969.

15. فوزي عبد الرسول، الحماسة في المثل البغدادي، مجلة التراث الشعبي، س11، ع9، 1980.

16. ماري إلياس وحنان قصاب حسن، المعجم المسرحي، مكتبة لبنان ناشرون، 2006، ص 376

17. معن بن أوس، ديوان معن بن أوس، ط 1، جمعه وفسر ألفاظه ووضع فهرس أعلامه كمال مصطفى، مطبعة النهضة، القاهرة، مصر، 1927.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:02 السنة:2021 الصفحة:770–798 تاريخ النشر:21–10–2021

18. نبيلة ابراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، مكتبة غريب القاهرة، ط3، مصر، 1989.

19. وليد منير، الأشكال التعبيرية في المثل الشعبي، مجلة الفنون الشعبية، ع37، سبتمبر 1982.